المناهج التربوية في العراق إلى اين؟

علي مهدي حسن
باحث

للمناهج الدراسية دوراً مهم وبارز في حياة البشر فهي الأداة الفعالة التي تستخدمها المجتمعات في بناء وتشكيل شخصية الأفراد المنتمون لها، وفقا لفلسفاتها وثقافاتها ومعتقداتها. فمن المعروف أن المناهج الدراسية تعكس تطلعات وطموحات هذه المجتمعات وآمالها في أجيالها القادمة، كما تعكس الواقع الذي تعيشه هذه المجتمعات وماتعانيه من أحداث وما يمر بها من أزمات، وقد فطنت بعض الدول إلى هذه الحقيقة وأجرت تعديلات واسعة وشاملة وأحدثت تغيرات هائلة في مناهجها الدراسية، مما أدى إلى ظهور طفرات هائلة في تقدم هذه الدول على جميع الصعد، وفي مجالات الحياة كافة، وحققت تقدماً مذهلاً في شتى ضروب العلم والمعرفة، وقد فطن التربويون والباحثون في مجال التربية إلى خطورة المناهج الدراسية والدور المهم التي تقوم به في تنشئة أجيال من الدارسين والمتعلمين، وإكسابهم المهارات والعلوم التي تساعدهم في النمو المتكامل لشخصياتهم، وكذلك النهوض بمجتمعاتهم.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور خليفة السويدي الأستاذ المساعد بقسم المناهج وطرق التدريس في جامعة الإمارات بدراسته ؟التربية في دولة الإمارات، تحديات وآمال؟ إلى التحديات التي تواجه العملية التربوية في العالم والتي تم تحديدها من خلال علم صناعة المستقبل الذي يعد من اشهر علوم التربية الحديثة وهذه التحديات هي تحدي كسر الحواجز التي تتضمن مشكلة القديم والحديث والصراع في مابينهما.

كما يذكر الدكتور محمد الرميحي في كتابه أحاديث عربية عن أسئلة وإجابات في المسألة التربوية الصادر عام ١٩٩١م أنه في شهر اب ١٩٨١م شكل وزير التربية والتعليم في الولايات المتحدة الأمريكية لجنة من ثمانية عشر عضوا لدراسة نظام التعليم في أمريكا وتقديم مقترحات لإصلاحه. وخرجت بتقرير خطر كان عنوانه ((أمة في خطر)) فيه إدانة كاملة لنظم التعليم السائدة في أمريكا. وكذلك فعل الاتحاد السوفيتي السابق عندما أصدر قرارا موجها في نيسان من عام ١٩٨٤ بإقامة كليات تقنية وعملية وزيادة سنوات الدراسة العامة من عشر سنوات إلى إحدى عشرة سنة، وغيرها من القرارات التعليمية التي كان الهدف منها رقي المجتمع السوفيتي.

والتطور لم يقتصر على الاختراعات و الصناعات المختلفة، فقد كان متوافقا مع التطور في المجال التربوي والتعليمي، لأن المجالين يكمل بعضهما البعض، ولأن التطور التقني يتطلب قدرات متطورة وعالية لدى العاملين كي يستطيعوا مواكبة هذا التطور.

وقد ارتفعت أصوات المفكرين الجادين من التربويين العرب والمسلمين لإجراء ثورة في أساليب التربية والتعليم، وإعادة النظر في المناهج والكتب المدرسية والوسائل التي تمكن المدرسة من أداء عملها على الوجه الأكمل. والكثير منهم يشتكي ضعف المناهج الحالية لأنها تدور في حلقة مفرغة، فيها من الثوابت أكثر من المتغيرات. والحياة بطبيعتها متغيرة.

وبرغم المحاولات الجادة إلى تصنيف الأسس التي تبنى عليها المناهج بغرض الدراسة إلا أن هذه التصنيفات تختلف من باحث تربوي لآخر. ومن هذه الأسس التي يعتمدعليها المنه الخبرة، التلميذ،البيئة، المجتمع) .

ان اختلاف نظرة العلماء لتعريف المنهج أدت إلى اختلاف تركيزهم على الأسس التي يبنى عليها المنهج . وقد تناول الباحثون هذه الأسس وطبيعتها وطرق الاستفادة منها في بناء المنهج الدراسي . ودعى كثير من التربويين إلى التعامل مع هذه الأسس والاهتمام بها حسب أولويتها.

فالنظرة العامة لمناهج التعليم يجب أن تكون نظرة شاملة فاحصة وليس وفق سياسة ترقيعية تصلح هذا وتدمج ذاك. ولهذا فقد بات من الضروري أن يكون هناك توجه حقيقي نحو التطوير، ليشمل المناهج من جوانبها المختلفة، فينعكس إيجابيا على العملية التربوية، الشاملة إيجاد مناهج تلبي متطلبات مجتمعنا في التنمية، وتساير ما يحدث من تقدم في العديد من المجالات العلمية والتكنولوجية في البلاد العربية والعالم . فعلينا أن نخلق مشروعا وطنيا شاملا لتطوير المناهج تنفذه الوزارة والجهات ذات العلاقة يهدف إلى تطوير العملية التعليمية. واللافت للنظر غياب العمل التنظيمي لطبقة الادباء والمثقفين مما يلقى بثقل كبير على العاملين في الوزارة في دراسة المشكلات التي تتعلق بتنفيذ المناهج الدراسية أو البرامج التعليمية واقتراح الحلول المناسبة لها للوصول الى الوسائل التعليمية المناسبة.

إحتضنوا العراق قبل أن يحتضنكم الإرهاب

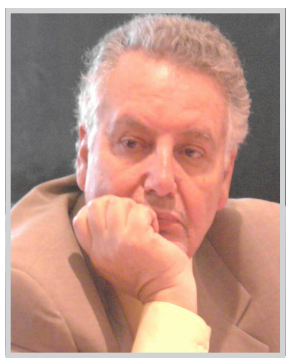

شاكر النابلسي
كاتب اردني - امريكا

(١)

يرتبط الخليج ارتباطاً تاريخياً وثيقاً بالعراق. ولعل هذا القلق الخليجي البادي بوضوم وبشكل طافح على مستقبل العراق، مبعثه هذه العلاقة التاريخية والجغرافية بالعراق، أكثر من أي بلد آخر في العالم العربي، برغم وجود جاليات عربية كبيرة، تصل إلى أكثر من ستة ملايين نسمة في دول الخليج مجتمعة، وبرغم اكتفاء وانكفاء العراق على نفسه في الماضي والحاضر، وعدم حضوره السكاني الكثيف في دول الخليج كما هي الحال مع بعض الدول العربية والإسلامية. ويظل العراق يُشكّل العمق الاستراتيجي للخليج العربي. ويظل الخليج قَلِقاً قَلَقاً مضاعفاً على مستقبل الخليج أكثر من أي بلد عربي للأسباب الآتية:

١- يعتبر العراق أقرب للخليج من أي بلد عربي آخر، جغرافياً وسكانياً واجتماعياً. وعندما اشتد العصاب القومي العراقي الكاذب ببعض الحكام العراقيين، لم يجدوا بلداً يدعون بأنه جزء تاريخي وجغرافي من العراق غير دولة خليجية هي الكويت.

٢- إن العراق يمثل امتداداً سكانياً للخليج حيث تمثل القبائل والعشائر العراقية امتداداً للقبائل والعشائر الخليجية عموماً. ولعل قبيلة شمّر التي كان منها رئيس الجمهورية العراقية السابق غازي الياور، خير مثال على جغرافية العشائر التي تغطي منطقة الخليج، وجزءاً من سورية والأردن.

٣- لقد أيقن الخليج بأن الاحتلال الأمريكي للعراق ليس استعماراً طويل الأمد. والدليل على ذلك حماس "المحتل" لتقليد السيادة لأبناء العراق بأسرع وقت ممكن. وهذا ليس من "شيم" الاحتلال المعروفة عبر تاريخ الاستعمار.

٤- إن استتباب الأمن في العراق هو استتباب للأمن في الخليج كله. فالعراق هو مفتاح الخليج الأمني. ولقد ظل الخليج مهدداً بالقلاقل والاضطرابات وعدم الاستقرار يوم أن كان يحكم العراق طاغية أراد بإثارته القلاقل في الخليج أن يأمن شر جيشه، وأن يبعد الجيش العراقي عن الانقلابات ضده، كما اعترف في الجلسة الأولى لمحاكمته في ٢٠٠٤/٧/٧.

٥- إن العراق يمثل امتداد الثروة النفطية الخليجية الهائلة. بل إن العراق هو العمق الاستراتيجي النفطي للخليج. وبإقامة حكم وطني عادل وعاقل وديمقراطي في العراق يضمن الخليج أمنه النفطي، الذي سبق وأن هدده صدام حسين، وكان من الأسباب الرئيسية لحرب الخليج ١٩٩١.

٦- إن غنى العراق بالموارد النفطية، يجعله شريكاً على قدم المساواة مع دول الخليج. وانضمام العراق مستقبلاً إلى مجلس تعاون دول الخليج لن يجعله عبئاً مالياً وبشرياً على الخليج كما الحال فيما لو انضم اليمن مثلاً إلى مجلس تعاون دول الخليج.

٧- إن غنى العراق بالموارد المائية (دجلة والفرات) يمكنه من أن يكون الساقية التي تروي عطش الأرض والبشر في الخليج. كما يمكن للعراق مستقبلاً أن يكون بستان فاكهة الخليج وسلة خبزه لكثرة مياهه، واتساع رقعته الزراعية.

٨- ليس بين الشعب العراقي والشعب الخليجي ما هو بين الشعب العراقي وأي شعب عربي فقير آخر من ضغينة وحسد. فالشعب العراقي والشعب الخليجي لن ينظرا إلى بعضهما بعضاً نظرة الغني إلى الفقير، أو نظرة الأجير للسيد، كما كان حال بعض العرب الفقراء العاملين في الخليج أو حال هؤلاء في العراق.

-٢-

هذه أسباب، وهناك أسباب كثيرة غير هذه، تدعو الخليجيين إلى احتضان العراق بقلوب مفتوحة وعقول نيرة لكي لا يجنح العراق مرة أخرى إلى الديكتاتورية والعدوان، وإزهاق مئات الآلاف من الأرواح، وإهدار المليارات في حروب مجانية دونكيشوتية، تنشب بقرار شخصي من ديكتاتور حلم بها، وتنتهي بقرار آخر من الديكتاتور نفسه، بعد أن عافها وذاق مرارتها، ولم يجنِ منها غير إلهاء جيشه عن القيام بانقلاب ضده، نتيجة لما كان يمارسه من فساد وطغيان.

-٣-

أيها الخليجيون: دافعوا عن العراق ضد الإرهاب الذي تذوقون منه الآن كؤوس المرارة . فالقضاء على الإرهاب في العراق والخليج هو وحدة عمل واحدة، وكفاح واحد، ضد عدو واحد. ولن يتأتى ذلك إلا بوحدة الجهود المشتركة بين دول الخليج والعراق الجديد.

أيها الخليجيون: دافعوا عن العراق ضد خفافيش الظلام الذين يحاولون إيقاف مسيرة الحداثة السياسية في العراق وفي الخليج على السواء. وربما يعجب بعض الناس من الحديث عن مسيرة الحداثة في الخليج والعراق .

فهل هناك مسيرة حداثة فعلية في العراق والخليج؟

الجواب، هو ما كان عليه حال العراق قبل التاسع من نيسان ٢٠٠٣ ، وما أصبح عليه الآن.

والجواب، هو ما كان عليه حال الخليج في السبعينيات وما هو عليه الآن، برغم عدم رضا الكثيرين عن بطء سير الحداثة السياسية والتعليمية، في حين أن الحداثة الاقتصادية والاجتماعية قطعت أشواطاً كبيرة.

فيا أيها الخليجيون: احتضنوا العراق بدفء وحنان ومودة وإخلاص شديد.

فلن يصلح الخليج إن لم يصلح العراق.

ولن يرتوي الخليج إلا بماء العراق.

ولن تمطر السماء في الخليج إلا إذا أرسلتها رياح العراق.

ولن ينام الخليج إلا في سكون ليل العراق.

ولن يصبح الخليج بحيرة ذهب آمنة إلا إذا أصبح العراق حراً ديمقراطياً عادلاً.

ولن ينشد الخليج قصائده الجميلة إلا تلك المستوحاة من شعر الرصافي والسيّاب والبياتي والجواهري وغيرهم.

احتضان الخليجيين العراقيين ليس على مستوى الدول والحكام فقط، ولكن على مستوى الشعوب والمؤسسات أيضاً، سوف يزيد من فشل الإرهاب والإرهابيين، وسوف يضيق من دائرة الإرهاب ويحصرها.

فيا أيها الخليجيون: احتضنوا العراق، قبل أن يحتضنكم جميعاً الإرهاب، ويعم الظلام، وتنعق الغربان في دياركم بعد الخراب.

أنماط الشخصية العراقية الحالية وآفاق الوحدة المجتمعية

فارس كمال نظمي
باحث

اليوم على نحو واسع، سؤال تحليلي – أخلاقي، تتداوله أوساط النخبة والعوام على حد سواء، داخل العراق وخارجه: ((هل الفرد العراقي مسؤول عما لحق ببلاده من تشظى و دمار؟)).

إن أي مجتمع بشري يتعرض لأزمة وجود ومصير عميقة، لابد من أن يصنف من الناحية السيكولوجية إلى أنماط متنوعة بل ومتناقضة أحياناً من الشخصيات السائدة فيه، ولا معنى لتعميم نمط واحد من الشخصيات أو السلوكيات على كل أفراده. وبمعنى أدق، إن المجتمع بمعناه السوسيولوجي هو المصنع التأريخي لأنماط متباينة ومتنافسة من الشخصيات الاجتماعية في لحظة زمانية معينة. فما الذي يحدث اليوم في مجتمعنا العراقي؟

يمكن القول، وباختزال مقصود لأغراض التحليل والبحث إن مجتمعنا بات يتألف من شخصيتين رئيستين: "شخصية هدمية عدوانية"، و"شخصية بنّاءة مسالمة"، من دون تجاهل حقيقة أن كلا هاتين الشخصيتين لها شخصياتها الفرعية العديدة.

الشخصية الهدمية العدوانية

تبلورت هذه الشخصية تدريجياً خلال نصف قرن من الانقلابات والاستبداد والحروب والاحتلال، بوصفها نتاجاً مباشراً للفعل السياسي السادي الذي بوشر بممارسته ضد الفرد العراقي بعد أشهر قليلة من قيام النظام الجمهوري وحتى اليوم. وهذه الشخصية، وإن تنوعت انماطها الفرعية النشوئية، إلا إنها تشترك على المستوى الانفعالي –السلوكي بتركيبة متناقضة من العناصر السادو –ماسوشية الممتزجة:

- إنها تغلّب قيم الموت على قيم الحياة في سلوكها، موظفة شعارات "الوطن" و"الدين" و"الواجب" و"الفضيلة" لتبرير أفعالها الهادمة لحياة الآخرين.
- تكره خصومها حد العمل على إفنائهم.
- تتسم بالسايكوباثية، أي ضعف الضمير، وعدم الاتعاظ بالتجارب، والاندفاع والتهور.
- لا تحقق توازنها النفسي أو رضاها الانفعالي إلا عبر مشاهد التدمير والقتل وهدم الحياة.
- أي لباس ايديولوجي ترتديه هو قشرة دفاعية ظاهرية تخبيء تحته منظومة متسقة من الميكانزمات العدوانية الموجهة نحو ذاتها أو نحو الآخرين، والتي يحركها الاحباط اللاشعوري العميق، بوصفه العنصر التكويني الأبرز لهذه الشخصية.

أما الأنماط الفرعية لهذه الشخصية الهدامة فيمكن تحديدها بوضوح من خلال العودة للعوامل السوسيو –سياسية التي أدت الى نشوئها وتطورها:

١- الشخصية الهدمية الفاشستية: نشأت على مدى أربعين عاماً في أقبية المؤسسة الأمنية والسياسية للنظام الفاشي السابق. تحكمها عقدة الاضطهاد والشك، ولا تجد أي امكانية لاستعادة شعورها بالأمن النفسي المفقود إلا بإقصاء الآخرين وايلامهم وإفنائهم. وهي ما تزال في أوج نشاطها اليوم، بعد أن استبدلت وجهها القوموي السابق بأقنعة متأسلمة جديدة، إذ وفر لها الوضع السياسي الجديد امكانية واعدة لاستمرار اضطرابها النفسي، ومن دون أي محاولة موضوعية لإعادة تأهيلها والحد من هدميتها.

٢- الشخصية الهدمية "الارهابية": تركيبة نفسية مستحدثة ولهذه الشخصية امتداداتها النسيجية مع الشخصية الأولى (الهدمية الفاشستية) بزوغاً وديمومة ومصيراً، إذ تحكمها عقدة الولاء للجمود، والرعب من التطور وتكفيره، والافتتان بعقيدة تقريب الموت من الجميع.

الشخصية العراقية البنّاءة المسالمة:

هناك، على الضفة الأخرى من نهر الدم العراقي، تسكن هذه الشخصية، بخصائصها التأريخية المتراكمة: ((التسامح، والتحضر، وقوة التحمل، والابتكارية التكيفية، والولع بالثقافة، وتمجيد قيم الحياة، والتفتيش عن ايجابيات الآخر المخالف، والتدين الهاديء))، والتي تشكل بنوعها وكمها المادة الأساسية العظمى من النسيج الاجتماعي العراقي التقليدي.

إن مساحة التماس التفاعلي بين الشخصيتين "الهدمية" و"البناءة"، يمكن عدّها هامشية وغير ذات أثر؛ بمعنى أن الفعل السياسي المصطنع من خيوط تقع خارج النسيج الاجتماعي العراقي التقليدي، لم يستطع النفاذ بآلياته "الهدمية" ونتائجه النفسية "العدوانية" الى الشخصية العراقية المسالمة بخصائصها التسامحية المتحضرة، إلا بامتدادات محدودة يمكن وصفها بـ"رد الفعل الانعكاسي الآني" الذي يتصل بتلقائية الاستجابة الميكانيكية لا بالذخيرة القيمية الجمعية بعيدة المدى. إن المتجول المحايد اليوم في بيوت بغداد ومدارسها وجامعاتها وأسواقها، يستطيع أن يتلمس الخصائص العيانية الملموسة لهذه الشخصية العراقية البناءة المغلوبة على أمرها، ومقدار اعتزازها المتجدد الصامت بهويتها الوطنية المحببة، ومبلغ نفورها وازدرائها لسادية الفئات الهدمية المتسلطة عليها.

أما الفعل الاحتجاجي الجمعي لاستعادة التوازن، فسيظل مؤجلاً إلى حين، ما دامت المسافة النفسية بين الادراك والفعل لدى الفرد العراقي ما تزال مزروعة بالسلبية والقهر واللاجدوى والعجز المتعلم منذ عقود، وهي خصائص تتصل بالفاعلية السلوكية وتوقعات النجاح والاحباطات المتراكمة أكثر من صلتها بخصائص البناء العقلاني المنجز للشخصية الحضارية للفرد العراقي، وهو ما يجعلنا متفائلين بشأن ما سيؤول اليه المشهد الدموي الحالي.

ولكن لا بد أيضاً من تحري الصلة بين مفهومي "الشخصية" و"الهوية":

الهوية العراقية

الهوية الاجتماعية ليست مفهوماً مطلقاً جامداً يتراوح بين الغياب الكلي والكينونة الكلية، بل بناء اجتماعي مرن، متعدد الغايات والكينونات، قادر على انجاز تحولاته وتمظهراته بما يتلاءم مع سيكولوجية اللحظة الراهنة.

والهوية الاجتماعية بكل أشكالها الفرعية: الوطنية، والعرقية، والدينية، والطائفية، والأسرية، هي بدءاً ضرورة تكيفية ونتاج حتمي لرغبة الفرد بالانتماء لكينونة اجتماعية ما، يستمد منها شعوره بالأمن والمكانة والاحترام، حتى في حالات غياب التنافس بين الجماعات الاجتماعية المتجاورة. كما إن متانة الهوية الوطنية لدى جماعة معينة لا يتناقض بالضرورة مع وجود هويات فرعية متعددة لدى تلك الجماعة، بل قد تنشأ حالة من التكامل بين البعدين الوطني والديني للهوية الاجتماعية مثلاً، كما هو الحال في المجتمع الأمريكي الحالي.

وعطفاً على المحور السابق حول نمطي الشخصية العراقية: "الهدمي" و"البنّاء"، يصعب الجزم أن تصدعاً حقيقياً قد أصاب الهوية الوطنية العراقية بمفهومها الجمعي الشامل. فالإغراء والقسر اللذين يواجههما الفرد العراقي اليوم لدفعه نحو الهرولة خلف هويته الطائفية في ظل تراجع النخبة العلمانية العراقية عن ممارسة دورها التأريخي المعهود، يقابله وعي يومي عميق لديه بأن الطائفية لم تجلب له الا انعدام الأمن وفقدان المكانة وغياب الاحترام وانطفاء المعنى الايجابي للحياة. فالعراقيون بطبيعتهم الشغوفة بقيم الحياة وأسئلة الخلود، لم يكونوا مفتونين يوماً بطوائفهم أو أعراقهم على حساب عراقيتهم أو انسانيتهم الأممية حتى في سنوات الاستبداد والحروب. ومرد ذلك هو التداخل الأسري والعشائري والعرقي والاقتصادي والثقافي بين الجماعات البشرية العراقية إلى الحد الذي أصبحت فيه هويتهم الوطنية هي الملاذ الأوفر حظاً لتحصيل الأمن والمكانة والاحترام.

يحتاج الفرد العراقي لهويته الوطنية أكثر مما يحتاج لهوياته الفرعية الأخرى. وإن المحاولات الجارية حالياً لقسره على تغيير هذه المعادلة النفسية الموضوعية قد تنجح مؤقتاً في جرفه الى نقطة التردد والصراع بين مفهومي الوطن والطائفة، إلا إن الجذر المتحضر للشخصية العراقية، ونظرتها الواقعية، وتدينها الهادئ اللااصولي، يجعل على الدوام من هويتها الوطنية مفهوماً قابلاً للمناورة الدفاعية، والتكيف البارع، وإعادة التشكل، ولو بتمظهرات جديدة تحفظ لها ميكانزماتها السيكولوجية الراسخة.

لقد حققت الهويات الاجتماعية الفرعية تناغماً سلمياً وتوازناً نفسياً مستقراً بين وظائفها وأدوارها، ضمن اطار الدولة العراقية العلمانية التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، بالاستناد الى ضرورات اقتصادية وديموغرافية تتعلق ببنية المجتمع العراقي المعاصر نفسه. كما كشفت السنوات الأربع الماضية منذ بدء الاحتلال، إن لهذا المجتمع قدرة استثنائية على مقاومة الموت الاجتماعي المفروض عليه، بالرغم من الغياب شبه التام لإطار الدولة الراعية والمنظمة لحركته البشرية.

وبتعبير أكثر تحديداً، إن الهوية الوطنية العراقية مفهوم نفسي – حضاري منجز الى حد كبير بفعل الضرورات المجتمعية الداخلية. وإن محاولة تشظيتها بتكنيكات سايكوسياسية مصطنعة تمارسها شركات السلاح الأمريكية الاحتكارية ومخابرات دكتاتوريات الجوار، ضمن رقع جغرافية طائفية أو عرقية متناحرة، سيمنح لهذه الهوية بعداً رومانسياً حميماً، يحفز الجيل الحالي لصيانتها واستعادتها جيوبولوتيكياً لاحقاً، بعد أن انتهى آباؤهم من انجازها سيكولوجياً وثقافياً واقتصادياً.